



مقابلة أديب مع : يوسف الشاروني

فيها عن عواطفه والاحداث اليومية التي تمر بي وانمكاساتها على نفسي ، وأنا احس انها مدرستي التعبيرية التي لا اتقيد فيها باي شروط فنية . وما نشر في كتاب «المساء الاخير» بعنوان «الحلم والتجربة» عبارة عن مختارات من هذه اليوميات التي كتبها في مرحلة الدراسة الجامعية حول سن العشرين .

كما حاولت كتابة الشعر والقصة القصيرة والطويلة ، وكانت اغلب موضوعات الشعر والقصة القصيرة عاطفية . اما الرواية فكنت متأثرا بما اقراه من روايات الجيب من ذلك الوقت ، وكانت خليطا من الروايات البوليسية والروايات المترجمة عن كبار الادباء العالميين .

ورغم اني كنت في التوجيهية بالقسم العلمي ، فقد قررت ان ادرس الفلسفة ، لاني اعتبرت انها تمثل خريطة الفكر البشري . ولا زال هذا رأيي في الفلسفة حتى الان . ولعل الاثر الظاهر الذي تركته الفلسفة في نفسي ، رؤيتي الدلالة الكبرى في الحدث الصغير ، ومحاولة نقل هذا الى القارئ عن طريق التجربة الفنية .

وفي المرحلة الجامعية اتسمت اهتماماتي الفنية ، بحيث شملت الفنون التشكيلية والموسيقى . فتعرفت على الموسيقى الغربية ، وترك هذا اثره في اهتمامي بالشكل في العمل الفني ، لان السيمفونية تتألف من حركة ثم تنوعات لهذه الحركة ، وتصنع تاريخها الخاص من ذاتها . قد تكون هناك نغمة معينة في اول السيمفونية ، تعود وتتردد في نهايتها بايقاع مختلف . ومن هنا تعلمت ان العمل الفني يمكن ايضا ان يخلق تاريخه الخاص به ، وانه يمكن لفكرة فيه او جملة ان تتردد في اوله ، ثم تعود في اخره بايقاع اخر . وهذا التشابه مع الموسيقى يمكن تسميته في القصة بالتمصر الشعري .

وبالنسبة للفن التشكيلي اتداني بشدة جوبا في لوحاته التي يمثل فيها الفرع ، الى جانب اتصالي بالحركة السيربالية التي ظهرت في مصر اثناء الحرب الكبرى الثانية . وقد ترك هذا الفن التشكيلي اثره على قصصي المبكرة ، فيما اسميته تحطيم قواعد المنظور في الادب . اي التمرد على الاساليب التقليدية التي كانت تكتب بهسا القصة اذ ذلك ، ثم على الاسلوب الواقعي الذي كان له الرواج في القصة منذ بداية الخمسينات .

ومن هنا كان اتجاهي في كتابة القصة مختلفا للاتجاه التقليدي

من خلال الوعي العميق بما اخذ يواجهه حياتنا المعاصرة من تحديات ، في غضون الحرب الكبرى الثانية واعقابها ، واتصالها المباشر وغير المباشر بالازمة الحضارية العامة التي اجتاحت العالم ، بدأ يوسف الشاروني يكتب القصة القصيرة في القاهرة ، باحدث الاساليب الفنية ، ويعبر بها عن الايقاعات العصرية الجديدة .

وقد استطاع بمجموعه القصصية الثلاث : العشاق الخمسة (مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٥٤) ، رسالة الى امرأة (مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٦٠) ، الزحام (دار الآداب ، ١٩٦٩) ، ان يتبوأ مكانة عالية بين كتاب القصة على مستوى الوطن العربي ، اثارت اهتمام وتقدير النقاد ، بفضل الامكانيات الفكرية والجمالية التي ينطوي عليها انتاجه .

ذلك ان قصصه تتميز بجملة خصائص ، في الشكل والبناء والمضمون ، تمنحها نكهة خاصة في ادبنا المعاصر . ومع ان كل مجموعة تتفرد بسيادة عناصر فكرية وفنية معينة ، وينتظمها رؤبة غالبية ، الا انه يمكننا ان نرى فيها جميعا تدفق تيار الشعور ، والانتقالات السريعة ، والتداخل الدائم او التوازي او تعدد المستويات بين الاحداث والمواقف ، العابر منها والحاسم ، بين الواقع والحلم ، الماضي والحاضر ، الحقيقة والرمز .

ويعد هذا البناء المركب اقدر الابنية الفنية على تجسيد الحياة المركبة التي يكتب الشاروني قصصه تحت تأثيرها ، بعد تأمل قد يطول سنوات .

وفي هذا اللقاء نتعرف على المكونات المبكرة التي وجهته للادب، ونطلع على بعض افكاره في الفن والحياة .

● ما هي العوامل المختلفة التي وجهتك الى الادب ؟ ومتى بدأت تعالج الكلمة ؟ وكيف اهتديت الى شكل القصة الذي تقدمه ؟

— لا استطيع ان اعلل تعليلا واضحا سبب اهتماماتي الادبية . كل ما اذكره اني في سني مراهقتي كنت اعجب بكبار كتابنا في ذلك الوقت امثال طه حسين وتوفيق الحكيم والقاد والمازني ، واني كنت اهتم بدروس اللغة العربية ، وكتابة الموضوعات الانشائية بطريقة تحوز اعجاب مدرس اللغة العربية ، حتى اني كنت احاول ان اكتب بعض الموضوعات بأسلوب مسجوع .

وفي مرحلة الدراسة الثانوية كنت اكتب يوميات خاصة ، اعبر

● متى بدأت تتعامل مع الكتب ؟ وما آثار قراءتك المبكرة على إنتاجك ؟

— بدأت أتعامل مع الكتب في وقت مبكر ، أستطيع ان احدثه بسن الثانية عشرة ، في اجازة الصيف ما بين الاولى الثانوية والثانية . اذكر اننا كنا نأخذ مناهج الادب العربي بعكس ما هو مقرر الان ، فنبدا بالترتيب التاريخي ، اي من العصر الجاهلي الى العصر الحديث ، فتعلقت في هذه السن بالادب العربي ، وكانت عند والدي مكتبة تجمع بين الناحية الدينية والناحية الادبية . ومن اهم الكتب التي استوففتني فيها كتاب «كليلا ودمنة» بسبب شكلها القصصي ، من حيث انها تجري في عالم الحيوان ، وذات دلالة رمزية . وكتاب «مجانبي الادب في حدائق العرب» ، وهو كتاب يضم مختارات من النوادر العربية الطريفة ومقطوعات من الشعر العربي كنت احاول ان احفظها .

ولقد لفت نظري في هذه النوادر مواقفها التي تتكرر في اكثر من صورة ، ثم تفضي الى نهاية غير متوقعة ، ولكن يرتاح اليها القارئ . وكنت اعتقد في ذلك الوقت ان هذه النوادر قد وقعت بالفعل لاناس حقيقيين بفضل اسلوب تقديمها للقارئ . وقد انعكست هذه القراءة في محاولتي لصياغة النادرة العربية بأسلوب معاصر ، فيما اطلقت عليه «قصص في دقائق» ، اذ كانت هذه محاولة لربط القصة العربية الحديثة بجذورها القديمة عن طريق استلهام النادرة العربية .

كما انه كان من بين هذه الكتب في مكتبة ابي ما كان مترجما عن الانجليزية ، مثل كتاب «سياحة الحاج» لجون بونيان ، الذي كتبه في القرن السابع عشر الميلادي ، وفيه يقص قصة سياحة المؤمن في عالم الظلام من اجل الوصول الى المدينة السماوية ، حتى يعبر نهـر النسيان ، ثم تلحق به زوجته وأولاده في الجزء الثاني من الكتاب .

وقد ألححت علي فكرة السياحة ، وما يبذل فيها من مجهود من اجل الوصول الى الهدف في كل من قصصي ودراساتي . ففي قصصي هناك بعض الشخصيات التي تحاول ان تتجاوز العقبات ، وتتقلب على المفريات ، بالحب او الذكاء او الايمان ، في سبيل الوصول الى هدفها ، وهو هدف تواضع في العصر الحديث حتى اصبح يتصل بمطالب الحياة الضرورية .

وفي السنوات التالية استطعت ان اقرأ كما ذكرت ما كان يسمى سلسلة روايات الجيب ، وهي تتراوح بين روايات بوليسيه وروايات بافلام كبار الكتاب العالميين مثل : تولستوي ، ديستوفيسكي ، هول كين ، رايدر هاجرد ، موريس لابلان . وكنت ادون في مفكرة صغيرة اسم كل كتاب اقرؤه وعدد صفحاته ، حتى اعرف حصيلة ما قرأت في نهاية الاجازة الصيفية ، واذكر انها وصلت في احدى هذه الاجازات الى ٨٠ كتابا .

وقبل دخول الجامعة بدأت اقرأ عن طريق المكتبات العامة لكتابنا العرب المعاصرين ، منهم غير من ذكرت : جبران ، ميخائيل نعيمة ، سلامة موسى ، حسين هيكل ، حسين عفيف ، وترجمات في «المقتطف» من شعر طاغور . كما كنت اقرأ في هذه المجلة المقالات العلمية التي كان يكتبها في المقدمة فؤاد صروف عن التركيب الذري ، ونظرية الكونتم .

● ما هي الظروف السياسية والثقافية التي بدأت الكتابة في ظلها ؟ وعلى اي اساس اخترت اشكالك الادبية ؟

— كانت فترة دراستي الجامعية هي نفس فترة الحرب العالمية الثانية من ١٩٤٥ سنة تخرجي من الجامعة هي نفس السنة التي انتهت فيها الحرب ، وهي نفس السنة التي بدأت اناهب فيها للكتابة والنشر . وجدت نفسي اواجه عالما يتنفس الصعداء بانتهاء الحرب ، ولكنه ينوء بععب مشاكل ما بعد الحرب . وكانت مشكلة مصر بالذات هي انها كانت تحلم بالاستقلال بعد هذه الحرب ، كما كانت تحلم به بعد الحرب العالمية الاولى ، مع تغير الظروف . ولهذا فقد كانت فترة غليان سياسي واجتماعي مما .

كما انه في اثناء الحرب الثانية حجبت الثقافة الاوروبية عن مصر لعدم تيسر وصولها . فما ان انتهت هذه الحرب حتى تدفقت على مصر الثقافات والاتجاهات الفنية، التي تخمرت في اوربا وقت الحرب، من اكثر من طريق ، كالكتب ، والبعثات ، والاسانذة الاجانب الموفدين . وكانت مجلة «الكتاب المصري» التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ورأس تحريرها الدكتور طه حسين احد المنابر العالية لتقديم هذه الالوان الجديدة ، فقرأنا مقالات طه حسين عن سارتر ، كامي ، كافكا ، ريتشارد رايت ، وغيرهم من الكتاب المعاصرين في ذلك الوقت، مما دفعنا الى ان نقرأهم في كتبهم الاصلية .

لقد احسست في ذلك الوقت بمدى تشابك العالم واضطرابه ، وسهولة المواصلات الحديثة بين اجزائه ، وما يضطرم فيه من قلاقل وتمرد وثورات ، وأن اللحظة الزمنية الواحدة تضم اكثر من تناقض ، وأن علي كفنان ان اقدم ذلك كله من خلال العمل الفني ، بحيث انقله الى وعي القارئ كما هو في وعيي .

ومن هنا جاء ادراكي بان الشكل التقليدي يضيق عن استيعاب هذا المضمون المنفجر . ورغم هذا الفوران العام كانت اعمالني الفنية تنطوي على بصيص من التفاؤل .

وقد تعجب ان تكتب هذه القصص التي جمعتها في «المسماق الخمسة» ونشرت من قبل في مجلة «الاديب» البيروتية تحت عنوان «من ايام الرب» . . في نفس الوقت الذي كتبت فيه «الاسماء الاخيرة» بأسلوبه الرومانسي ، ومعنى هذا ان الفنان او الاديب يمكن ان يكتب بأسلوبين في وقت واحد ، كل منهما يعبر عن جانب من جوانبه النفسية والابداعية .

وقد مارست اكثر من شكل ادبي ، محاولا الافلات من تكرار نفسي في اتجاه ادبي واحد . وكنت احس دائما كأنني في معمل ، وعلي ان اجرب جميع الاشكال الفنية ، لاني اعتقد ان الخلق يتم دائما في الشكل كما يتم في المضمون ، وأن علي الفنان ان يقسدم جديدا دائما في كل عمل فني ، ليس بالنسبة لغيره فقط من الكتاب ، بل وبالنسبة لنفسه ايضا .

● ما اثر انتمائك للطبقة الوسطى على كتاباتك ؟ وكيف ترى هذه الطبقة ؟

— هذا الاثر انعكس في الشخصيات التي اكتب عنها ، فمعظمها من هذه الطبقة المتوسطة التي انتمي اليها ، حيث انني قليل الغامرة في تناول الشخصيات التي تنتمي الى طبقات اخرى لم اعيشها ، مثل الطبقة الارستقراطية القديمة او الطبقات الشعبية . وربما كان الاستثناء الوحيد الشخصيات الريفية ، وذلك بسبب معاشيتي للريف اثناء فترة الطفولة .

هذه الطبقة طبقة محافظة ، تحرص على ان ناخذ اكثر مما تعطى ، تتطلع الى اعلى ، وتخشى ان تنحدر الى اسفل . لا تحب الغامرة ،

الحج نون

من يحكي عنها وسط ضجيج النار ؟
من ينكأ جرح الصمت اذا ما نار ؟
ويلم شتات الكلمات المخزونه
حين تسف رمال اليأس للمعونه ؟

• • •

نظرت في عين الشمس وقالت : مرآتي
ابصر فيها لوني وظلاي
اسمع من شفيتها موالي
احجبها عن اعينهم تبصر
ارض أستاري الوردية فوق المرآه
فأنا وحدي من يملك ان ينظر في عين الشمس

• • •

نظرت في عين الشمس وقالت :
من يشبهني ؟
أستل سيوف الريح
أمرق في جوف الليل بأرديتي السحريه
أصقل مرآتي يزهو فيها رسمي

• • •

ثلثت بالهجرة حين الفجر اطل ..
رقصت في المرآة المصقوله ..
دارت في فلك مهجور
زرعت نرجسها حول المرآه
عبدته حين نما وأطلت
فاذا نرسيس يطل ..

• • •

بسطت عين الشمس ذراع النور
فوق رحاب العالم
لكن صاحت تلك المجنونه :
فلتفقاً عين الشمس
تلك المرآة الخائنة الشوهاء
وليقتل فيها كل ضياء
فأنا وحدي من يملك ان ينظر في عين الشمس

• • •

من يعرف ماذا بعد جنون المجنونه
فلينكأ جرح الصمت
ويلم شتات الكلمات المخزونه
وليتكلم وسط ضجيج النار .

وفاء وجدي

القاهرة

وتخشى الفصائح ، وتتستر على ما يقع فيها .

ولكن هذه الطبقة نفسها تحتوي على عناصر جريئة تتمرد على
الاضواء التقليدية ، بحيث تشارك في تطوير المجتمع والحياة .

وربما كانت في نهاية التحليل تحتوي على عنصرين ييسدان
متناقضين ، ولكن في الواقع يكمل كل منهما الآخر ، وهما : عنصر
المحافظة على جوهر المجتمع ، عنصر تجديد هذا المجتمع بما يتناسب
مع روح العصر .

● علام تبحث شخصيات قصصك ؟ وهل تحقق اهدافها التي
تسعى اليها ؟

- شخصياتي تبحث عن الطمأنينة ، ولا تنشأ الا الطمأنينة .
ويبدو ان هذا هو اعسر طلب في العصر الحاضر . والقاعدة ان تكون
الشخصيات قلقة أرقه ، تثقل كاهلها ضغوط تنوء بعينها ، مادية
ونفسية وفكرية . ذلك ان الفرد دائما اضعف من المجتمع ، وتمثل كل
محاولاته في ان يجد لقدمه مكانا في هذا العالم .

ومن هنا ربما بدا الجو الكابوسي الذي يسيطر على كثير من
شخصيات قصصي ، حيث تفتقد الطمأنينة ، وتخشى الضياع ، وتكافح
كفاحا مريرا من اجل مطالب الحياة البسيطة ، كالحب ، والعمل ،
والسكن .

ومع انهم لا يصلون الى تحقيق اهدافهم ، فان لهم من الحيوية
والطاقة ما يجعلهم يواصلون الكفاح .

وهذا يعني ان الحياة طريق للمضي وليست نهاية .

● كيف ترى الحياة ؟ ومن هم الابطال في قصص مثل : الزحام،
الوباء ، القيظ ؟

- ما دامت البشرية لم تتوقف عن محاولات التوصل الى حلول
افضل لمشكلاتها ، فهناك دائما امل . وهو موجود في كثير من قصصي .
ومثل الطبيعة التي تحتوي الليل والنهار ، والشتاء والصيف ، الحياة
والموت ، تحتوي المدينة الخير والشر . واعتقد ان التقدم البشري ثبت
انه دائما تقدم متواز في الخير والشر . اما ابطال قصص «الزحام»،
«الوباء» ، «القيظ» فاعتقد ان البطل الحقيقي فيها هو الجو العام
الذي تصوره القصة ، ولا تهدف الحوادث والشخصيات والاسلوب
الا ابراز هذا الجو ، الذي يمكن اعتباره مضمون القصة في حد ذاته .

● على ضوء تجربتك الادبية الخصبية ، ارجو ان تحدد للقراء
دافعك للكتابة ؟

- اعتقد ان كل ادب جيد لا بد ان يكون دافعه احتجاج من نوع
ما . باستمرار ، مهما بلغت البشرية من تقدم ، فهناك اوضاع اكثر
تقدما . وما يكون كماليا اليوم يصبح ضروريا غدا . ومهمة الكاتب ان
يطالب دائما بما هو افضل . فالرغبة البشرية في التحسن او التقدم
لا تنتهي . وهذا هو الدافع الاساسي فيما اعتقد لكاتبتي ، واعتقد
انه هو نفسه بالنسبة للاخرين ايضا .

ومعنى هذا ان الادب بوجه عام صموت احتجاج شخصي او
اجتماعي ، ولو ان الادب الجيد هو الذي يستطيع ان يحيل الشخصي
الى انساني . فقد يكون الدافع للكتابة هو هزيمة عاطفية ، كما انه
قد يكون تخلفا حضاريا . والهدف من ذلك رفع صوت المهوم ، املا
في تجاوز الهزيمة .

اجرى المقابلة

القاهرة

نبيل فرج